



مقال مراجعة: كتاب معاني النحو واسطة العقد بين مؤلفات النحو

م.م. عبد الله جبر ناصر

قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، العراق

البريد الإلكتروني: abdulla.jebur.n@utq.edu.iq

الملخص

تبحث هذه الورقيات في مؤلف يعد من أبرز مؤلفات النحو الحديثة، ألا وهو كتاب معاني النحو، للدكتور فاضل السامرائي، الذي سد الفجوة، وأقال العثرة؛ فأثر دراسة الموضوعات النحوية وفقاً للمعنى، قاصداً التفريق بين ما يُظن أنه مترادف في الأسلوب.

فسعى السامرائي من خلال كتابه إلى إثبات أن كل تغيير في البنية التركيبية للجملة حتماً يصاحبه تغيير دقيق في المعنى، وبهذا تجاوز فكرة أن النحو والإعراب ما هو إلا تغيير في أواخر الكلم.

الكلمات المفتاحية: النحو، المعنى، الاختلاف، الفرق، البلاغة.



Review Article: The Book of Grammar Meanings: A Central Treatise on Grammar

Abdullah Jabr Nasser

Department of Arabic Language, College of Education for Humanities, University of
Thi-Qar, Iraq

Email: abdulla.jebur.n@utq.edu.iq

ABSTRACT

This paper examines one of the most prominent modern works on Arabic grammar, namely Ma'ani al-Nahw (The Meanings of Grammar) by Dr. Fadhil Al-Samarrai. This work has successfully bridged a long-standing gap and addressed key shortcomings by prioritizing the study of grammatical topics through the lens of meaning, aiming to differentiate between stylistic structures that are often presumed to be synonymous. Through his book, Al-Samarrai sought to demonstrate that any change in the structural syntax of a sentence inevitably entails a subtle shift in meaning, thereby transcending the conventional view of grammar and syntax as merely changes in word ending.

Keywords: Grammar, Meaning, Variation, Eloquence Distinction.



التمهيد :

يقع كتاب (معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي) واسطة العقد من بين كتب النحو العربي؛ فقد كثرت المؤلفات في هذا العلم وتنوعت، إلا أن الصبغة التي اصطبغت بها أغلب تلك الكتب يغلب عليها طابع الصنعة النحوية، والتكلف الشديد، وتعدد الأوجه التي ينصرف إليها معنى التركيب، فلم تكن تبحث في الفروق الدقيقة بين المعاني النحوية التي يُظن أن بينها تشابهًا، فجاء هذا الكتاب النفيس ليجلو الحقيقة، وينفذ إلى أعماق الدلالة النحوية، يقول السامرائي: "فإنه من المعلوم أن علم (النحو) يُعنى، أول ما يعنى، بالنظر في أواخر الكلم، وما يعترئها من إعراب وبناء، كما يعنى بأمور أخرى على جانب كبير من الأهمية، كالذكر، والحذف والتقديم، والتأخير، وتفسير بعض التعبيرات، غير أنه يولي العناية الأولى للإعراب، وهناك موضوعات ومسائل نحوية كثيرة، لا تقل أهمية عن كل ما بحثه النحاة، بل قد تفوق كثيرا منها، لا تزال دون بحث، لم يتناولها العلماء بالدرس ولم يولوها النظر. قد أبدوا مغاليا في هذا الزعم، ولكن هذا الزعم حقيقة. أننا عجز عن فهم كثير من التعبيرات النحوية، أو تفسيرها، ولا نستطيع التمييز بين معانيها، فمن ذلك على سبيل المثال.

ما الفرق في المعنى بين قولك: (لا رجل - بالفتح - في الدار)، و (ما من رجل في الدار) مع أن كلتا العبارتين لنفي الجنس على سبيل الاستغراق؟،

ما الفرق بين قوله تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله} وقوله: {وما من إله إلا الله} لم نفى العبارة الأولى بـ (لا) والثانية بـ (ما)؟

ما الفرق في المعنى بين قولك (ليس محمد حاضرًا) و (ما محمد حاضرًا) و (إن محمد حاضرًا) أقول ما الفرق في المعنى، وليس في الإعراب⁽¹⁾. إن هذه الأسئلة تثير العجب حقًا، فقلما بحث النحويون تلك المسائل الدقيقة، بل كان المفسرون وشراح الحديث أوفى حظًا من النحويين في تلمس الفروق الدقيقة بين تلك المعاني المترادفة. فيرى الحاجة ماسة إلى إيجاد فقه للنحو العربي؛ لأن النحاة دأبوا على تتبع العلاقات الظاهرة بين الكلمات⁽²⁾.

تقسيم الكتاب:

يدرك المتصفح لكتاب (معاني النحو) من أدنى نظر أنه قسّمه على وفق تقسيم ابن مالك (ت672هـ) لأبواب الألفية، وما درج عليه شراحها، فهو يبدأ كتابه ببابين يجعلهما مهادًا لكتابه: فافتتح الكتاب بباب (الجملة العربية)، ويشفعه بباب (ظاهرة الإعراب، ثم يمضي في الكتاب، موبًا الكتاب على الطريقة التي سلف ذكرها، فيأتي بباب (النكرة والمعرفة)، ثم (المبتدأ والخبر)، ثم (الأفعال الناقصة) وهكذا دواليك. وقد يتبادر إلى الذهن سؤال: لم ترك الابتداء ببابَي الكلام وما يتألف منه، والإعراب والبناء؟، فيجاب عنه بأن هذين البابين لا غناء من دراستهما في هذا الكتاب؛ كونهما لا يشتملان على قضايا تتطلب تفسيرًا نحويًا يتعلق بالمعنى بسبب. وبعد هذا الاستعراض اليسير، أرى من المفيد أن نلج الكتاب، ونبين بعض القضايا النحوية المتعلقة بهذا السيفر المهم:

أولاً: موافقته لرأي المفسرين والبلاغيين:

التمييز المحول:

يذكر النحاة أن التمييز في قولنا (طاب زيدٌ نفسًا) مساوٍ لقولنا (طابت نفس زيد)، ويجعلون منه قوله تعالى: {وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} [مريم:4]، يقول السيرافي (ت368هـ): "وإنما هو: واشتغل شيب الرأس، غير أنه حوّل فعل الشيب إلى الرأس"⁽³⁾. ولم يزد ابن جني (ت392هـ) على السيرافي شيئًا⁽⁴⁾. ولا نجد غناء عند ابن يعيش

(1) (السامرائي، 2000 : 5 / 1).

(2) (السامرائي، 2000 : 8 \ 1).

(3) (السيرافي، 2008 : 215 / 1).

(4) (ابن جني الأنصاري، 1428 : 209).



(ت643هـ) فيقول: "اعلم أنّ التمييز، والتفسير، والتبيين، واحدٌ، والمراد به رفع الإبهام، وإزالة اللبس، وذلك نحو أن تُخبر بخبر، أو تذكر لفظاً يحتمل وجوهاً، فيتردد المخاطب فيها، فتنبهه على المراد بالنص على أحد محتملاته تبييناً للغرض، ولذلك سمي تمييزاً وتفسيراً.

وهذا الإبهام يكون في جملة ومفرد، فالجملة قولك: "طاب زيدٌ نفساً، وتصبب عرقاً، وتفقأ شحماً" ألا ترى أنّ الطبية في قولك: "طاب زيدٌ" مسندة إليه، والمراد شيء من أشيائه، ويحتمل ذلك أشياء كثيرة كلسانه وقلبه ومنزله وغير ذلك، وكذلك التصبب، والتفقأ يكون من أشياء كثيرة، فجرت لذلك مجرى "عشرين" في احتماله أشياء كثيرة. فكما أنّ إبانة "العشرين" بنكرة جنس، كذلك إبانة هذه الجملة بنكرة جنس⁽¹⁾. وهذا مستغرب من ابن يعيش؛ كونه يفتش عن المعنى وما يحتمل اللفظ من دلالات. ثم تتابع النحاة على ذلك، فهم بين شارح للعامل في التمييز، أو مَعْرِفاً أو مُمَثِّلاً. لكن الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) حاول أن يتلمس الفرق بين قوله تعالى {واشتعل الرأس شيباً} ولو قيل: (اشتعل شيب الرأس) فيقول: "فإن قلت: فما السبب في أن كان "اشتعل" إذا استعير للشيب على هذا الوجه، كان له الفضل؟ ولم يأن بالمزية من الوجه الآخر هذه البينونة؟،

فإن السبب أنه يُفيد، مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى، الشمول²، وأنه قد شاع فيه، وأخذ من نواحيه، وأنه قد استغرقه وعمّ جُمْلَتَهُ³، حتى لم يبق من السواد شيء، أو لم يبق منه إلا ما لا يُعَدُّ به. وهذا ما لا يكون إذا قيل: "اشتعل شيب الرأس، أو الشيب في الرأس"، بل لا يوجب اللفظ حينئذ أكثر من ظهوره فيه على الجملة. ووزان هذا أنك تقول: "اشتعل البيت ناراً"، فيكون المعنى: أن النار قد وقعت فيه وقوع الشمول، وأنها قد استولت عليه وأخذت في طريقه ووسطه. وتقول: "اشتعلت النار في البيت"، فلا يفيد ذلك، بل لا يقتضي أكثر من وقوعها فيه، وإصابتها جانباً منه. فأما الشمول. وأن تكون قد استولت على البيت وابتزته، فلا يعقل من اللفظ البتة⁽²⁾. فوافق د. فاضل السامرائي هذا المذهب فقال: "يعدل من الفاعل أو المفعول إلى التمييز لقصد الاتساع والشمول والمبالغة، وذلك نحو قولك (فاحت الحديقة عطراً) ونحو قوله تعالى: {واشتعل الرأس شيباً} [مريم: 4]، والأصل فاح عطر الحديقة، غير أن بينهما فرقا في المعنى، فقولك (فاح عطر الحديقة) معناه أن عطراً في الحديقة فاح، وأما قولك (فاحت الحديقة عطراً) فمعناه أن الحديقة امتلأت عطراً"⁽³⁾.

ثانياً: ردوده على النحويين:

ما يحتمل الحالية والتمييز:

في العربية تراكيب نحوية، تحتمل أن تُعَرَّبَ حالاً أو تمييزاً، وذلك بحسب السياق، يقول ابن هشام (ت761هـ): "من ذلك كرم زيد ضيفا إن قدرت أن الضيف غير زيد فهو تمييز محول عن الفاعل يمتنع أن تدخل عليه من وإن قدر نفسه احتمل الحال والتمييز"⁽⁴⁾. ويبدو أن الأمر فيه عسر على القارئ، فيجلوه د. فاضل السامرائي بقوله: "وتقول: (كرم محمد أخا) فإن كنت تعني أن أخا محمد هو الذي كرم، كانت (أخا) تمييزاً، وإن كانت تعني أن محمداً كرم عندما صار أخا، كانت (أخا) حالاً"⁽⁵⁾. وقد رد على مسألة قولنا: (لله دره فارساً)، فالنحاة يجعلون (فارساً) محتملاً أن يُعَرَّبَ حالاً أو تمييزاً، وقد رجح الرضي (ت686هـ) الوجه الأول⁽⁶⁾. فأجاب السامرائي معترضاً: "ونحن لا نوافق الرضي فيما ذهب إليه فإن ثمة فرقا في المعنى بينهما إذا جعلت حالاً أو جعلت تمييزاً. فإنك إذا قلت (ما أحسن زيدا فارساً) فقد تقصد بذاك أنك تمدحه في حال فروسيته، وإن قصدت (ما أحسن زيدا من

(1) (ابن يعيش الموصلي، 2001: 36/2).

(2) (الجرجاني، 1992: 101).

(3) (السامرائي، 2000: 317/2).

(4) (ابن هشام الأنصاري، 1985: 733).

(5) (السامرائي، 2000: 313/2).

(6) (الرضي الاسترأبادي، 1398: 64/2).



فارس) أي هو فارس حسن، لا إنه حسن في حال الفروسية، كان تمييزاً بمعنى هو من أحسن الفرسان، فهناك فرق بين المعنيين⁽¹⁾.

ثالثاً: انفراده ببعض الآراء التي ليس لها وجه في العربية: تأويل كلمة (كذلك):

هذا تركيب يفيد التشبيه في العربية، تقول: هذا الرجل كذلك الرجل، أي: مثله⁽²⁾. ويرى د. فاضل السامرائي أن هذا الكلام ليس على إطلاقه، فـ"قد تكون بمعنى (أيضاً) وذلك نحو قولك: (أنت ضربت خالدًا وسرقت ماله كذلك) فلا أرى ههنا معنى للتشبيه، إذ لا يصح أن يراد، وسرقت ماله كذلك الضرب وإنما هو بمعنى أيضاً، ومن هذا فيما يبدو لي قوله تعالى: {إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين} [الدخان: 51 - 54]، فلا أرى في هذا المعنى للتشبيه وإنما المعنى كما يبدو، وزوجناهم بحور عين أيضاً، وإن كان المفسرون يرون أن المعنى على التشبيه، وإن المعنى يحتمل أن يكون: الأمر كذلك وزوجناهم بحور عين⁽³⁾. فهذا رأي مبني على فهم المعنى، ويُعارض بأن "ما قدمه هو آية واحدة ويمكن تأويلها بما لا يضر بالمعنى، قال السمين الحلبي (ت756هـ): "في هذه الكاف وجهان، أحدهما: النصب نعتاً لمصدر أي: نفع بالمتقين فعلاً كذلك أي: مثل ذلك الفعل. والثاني: الرفع على خبر ابتداء مضمرة أي: الأمر كذلك⁽⁴⁾. ولو كان التقدير مناسباً للمعنى لكان أولى، فلو قلنا: نكرم المتقين إكراماً كذلك، وزوجناهم بحور عين، فيكون التزويج إكراماً بعد إكرام⁽⁵⁾.

رابعاً: انفراده ببعض الآراء التفسيرية:

مصاحبة (أن) المشددة المصدرية للفعل (رأى):

يرى السامرائي أن الفعل (رأى) له معنيان: معنًى بصري، وآخر قلبي. وفرّق بين الفعل (رأى) إذا صحبته (أن) أو لم تصحبه فقال: "فثمة فرق بين قولك: أرى محمداً واقفاً وأرى أن محمداً واقف، فالأول موقف متشخص ورأى بصرية، والثاني موقف عقلي ورأى عقلية، أي أرى أنه فاعل ذلك ... ونحو ذلك قوله تعالى: {ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق} [إبراهيم: 16]، فهذه رؤية بالتدبر والتفكير⁽⁶⁾. ثم يعرض إلى (رأى) البصرية، ويمثل لها بآيات كثيرة منهى قوله تعالى: {أرنا الله جهرة} [النساء: 153]⁽⁷⁾. ونلاحظ الفرق واضحاً بين ما ورد من آيات، والذي أعان على التفريق بين تلك المعاني أداة نحوية فقط. وقد اعترض على السامرائي في هذه المسألة: يقول د. رافد ناجي وادي الجليحاي: "وهذا غير سليم؛ فدلالة (رأى) بحسب الاستعمال، فما يقول في قوله تعالى: {ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبيح الأرض مخصرةً إن الله لطيفٌ خبيرٌ} [الحج: 63]، فهنا (رأى) بصرية، فنزول الماء وتصبح الأرض مخصرة؛ موقف متشخص، وفيه حجة واقعة لا تتطلب تدبيراً وتفكيراً، ومصادقه أيضاً قوله تعالى: {ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفاً ألوانها} [فاطر: 27]⁽⁸⁾. ويبدو أن ما ذهب إليه الدكتور الجليحاي ليس بصائب، فأني تدبر أكثر من التدبر بنعم الله الظاهرة عياناً، فالله- تبارك وتعالى- لم يأمرنا أن ننظر إلى المطر ساعة نزوله، بل أمر بالتفكير والتدبر في نعم

(1) (السامرائي، 2000 : 314 / 2).

(2) (السامرائي، 2000 : 106 / 1).

(3) (السامرائي، 2000 : 106 \ 1).

(4) (السمين الحلبي 1986 : 630 / 9).

(5) (علي، 2018 : 344).

(6) (السامرائي، 2000 : 295 / 1).

(7) (السامرائي، 2000 : 295 \ 1).

(8) (الجليحاي، 2023 : 638).



الله الظاهرة، يقول الرازي (ت606هـ): " ذَكُرُوا فِي قَوْلِهِ: أَلَمْ تَرَ وُجُوهًا ثَلَاثَةً: أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ الرُّؤْيَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، قَالُوا لِأَنَّ الْمَاءَ النَّازِلَ مِنَ السَّمَاءِ يُرَى بِالْعَيْنِ وَخَضِرَارُ النَّبَاتِ عَلَى الْأَرْضِ مَرِيٌّ، وَإِذَا أُمِكنَ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى حَقِيقَتِهِ فَهُوَ أَوْلَى وَثَانِيهَا: أَنَّ الْمُرَادَ أَلَمْ تُخْبِرْ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِفْهَامِ/ وَثَالِثُهَا: الْمُرَادُ أَلَمْ تَعْلَمْ وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ ضَعِيفٌ لِأَنَّ الْمَاءَ وَإِنْ كَانَ مَرِيًّا إِلَّا أَنَّ كَوْنَ اللَّهِ مُنْزَلًا لَهُ مِنَ السَّمَاءِ غَيْرُ مَرِيٍّ إِذَا ثَبَتَ هَذَا وَجِبَ حَمْلُهُ عَلَى الْعِلْمِ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ تِلْكَ الرُّؤْيَةِ هُوَ الْعِلْمُ، لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ إِذَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا الْعِلْمُ كَانَتْ كَأَنَّهَا لَمْ تَحْصُلْ"⁽¹⁾.

الخاتمة والنتائج :

- 1- يمكننا القول أن كتاب معاني يمثل محاولة صادقة لسبر أغوار المعنى للوصول إلى المقصد البلاغي .
 - 2- كان النحو بحاجة إلى إبراز الفروق النحوية، والمعاني الكامنة وراء التعبيرات النحوية المترادفة، فجاء كتاب معاني النحو ليسد هذه الخلة، ويرقع هذه الفجوة.
 - 3- اعتمد د. فاضل السامرائي في كتابه على كتب التفسير، ومصادر النحو التي تعنى بالنحو، وكتب البلاغة العربية لاستنباط المعاني النحوية، أضف إلى ذلك آراء انفرد بها.
 - 4- لم يسلم عالم من العلماء من رد أو مؤاخذه أو اعتراض، فهذه طبيعة العلم.
- ثبتت المصادر والمراجع

المصادر

1. القرآن الكريم.
2. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
3. دلائل الإعجاز في علم المعاني، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة
4. شرح الرضي على الكافية، المؤلف: محمد بن الحسن الرضي الإسترابادي، نجم الدين (المتوفى: نحو 686 هـ)، دت، تاريخ النشر: 1398 هـ.
5. شرح اللمع في النحو، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392 هـ)، المحقق: الدكتور محمد خليل مراد الحربي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: 1، تاريخ النشر: 1428 هـ.
6. شرح المفصل للزمخشري، المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: 643هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
7. شرح كتاب سيبويه، المؤلف: أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفى: 368 هـ)، المحقق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 2008 م.
8. معاني النحو، المؤلف: د. فاضل صالح السامرائي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

(¹) (فخر الدين الرازي ، 1420: 23 / 246-247) .



9. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، 1985.
10. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دت، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
1. المعنى النحوي في كتاب معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي قراءة نقدية الجزء الأول اختياراً، أ.م.د. رافد ناجي وادي الجليحاوي، جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد: 60، المجلد: 15، حزيران 2023م.
2. المعنى والحكم النحوي عند فاضل السامرائي في كتابه (معاني النحو) د/ محمد السيد عبده علي علي، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد 38، المجلد: 19، السنة: 2018م.